الارض الفلسطينية خطرة ... يا « باجس أبو عطوان » ... وهي تصبح اكثر خطرا ... حين تلمسها القدم الفلسطينية ، وتلتحم بها ....

هل حدثك مدرسك في مدرسة « دورا »، ذات يوم ، عن ذلك البطل الاغريقي القديم ، الذي كان ينتصر دائما على اعدائه ، لانه كان يغرس قدميه في الارض ، كلما احس بالضعف ، فيسترجع قوته وعنفوانه ... وينتصر على مبارزه ... آه يا « باجس أبو عطوان » ... ، لعله قد حدثك عن ذلك البطل ، وحدثك ايضا عن نهايته المفجعة ... حين انتصر عليه ، بطل اغريقي اخر ، اسمه : هرقل ...

لقد انتصر عليه ، انتصر على ذلك البطل ، لانه ، لم يتركه ، يغرس قدميه في الارض ، حاربه ، وقد رفعه في الهواء ، وهكذا انتصر هرقل ... لانه عرف سر ذلك البطل ، عرف ان سره في الارض ، وان معجزته في الارض ، فلم يمكن قدميه ، من الارض، رفعه فوق الارض، جعله معلقا من خفائر شعره في الهواء...وقضى عليه ...

● ●

« باجس أبو عطوان » ... ، كان على قدمك ، ان تتذكر تلك الطريق جيدا ... من « دورا »، الى « خربة الطبقة » ... فحينما تفقد القدم الفلسطينية ذاكرتها ... فسوف يموت الرأس ... سوف يسقط كحجر من بين الكتفين ...

اذكر هذا جيدا ، يا « باجس أبو عطوان » ... فالقدم هي الخارطة ، والخارطة هي القدم ... وفلسطين امرأة : تحبل من يديها ... وتلد من قدميها ... يا « باجس أبو عطوان » ...

[٢]

« كيف حدث هذا ...؟ »

● لقد أنهى دراسته الاعدادية ... ونال الشهادة ... وهو يستطيع ان يفهم الان ما يقوله الفلاحون ... في احاديثهم القصيرة ... والطويلة ، وهم يرتشفون اقداح الشاي ... ويدخنون ... بعضهم لفافة التبغ ... الثقيلة الرائحة ، والبعض الاخر ... الغليون ، وهناك من يدخن « الشيشة » ... وهكذا استطاع « باجس أبو عطوان » ان يميز بين نوعين من الفلاحين ... فالفلاح الذي يدخن « الشيشة » كان بالنسبة « لباجس أبو عطوان » ، فلاح ميسور الحال ... فأوراق التمباك التي في لون الذهب ... ، أغلى ، من ذلك التبغ الاسود ... والذي يدخن الشيشة ، يملك المزيد من الوقت ، وليس كالفلاح الذي يدخن لفافة التبغ ، ويرتشف قدح الشاي ... ثم يمضي الى فراشه ... فعليه ان يكون قبل اشعة الفجر فوق الارض ...

● ●

في أحيان كثيرة ، كان « باجس أبو عطوان » ، يشاهد مدرسي القرى ، يأتون الى المقهى ... ويجلسون الى جوار بعضهم البعض ، في دائرة كبيرة ... اما الفلاحون ، فلقد كانوا متناثرين هنا وهناك ... وفي حلقات صغيرة ... وما اكثر ما كان يسأل نفسه ، لماذا المدرسون في دائرة ... والفلاحون في دائرة اخرى ... واكثر من مرة حاول ان يطرح هذا السؤال على مدرسه ، ولكنه ، كان يتوقف في اللحظة الاخيرة ... ورغم ذلك ، فقد كان يحس ان هناك خطأ ما ... وكان يسأل نفسه :

ـ لماذا لا يجلس المدرسون والفلاحون في حلقة واحدة ...؟